رابعاً:

السعوديون والدعوة والإغاثة..

obeikandl.com

obeikandl.com

السعوديون .. والإغاثة..!

عندما تطلق كلمة «السعوديين» فإنها تعني الانتماء الذي يعود بالكلمة إلى القرن الحادي عشر الهجري ويعود الانتماء إلى القرن الأول الهجري. ولذا فإن المدلول يمكن أن يشير إلى الأبعاد الثلاثة:

١ ـ تبني الدولة السعودية للحكم الإسلامي في جميع شؤون الحياة الداخلية والخارجية. وهذا يعني مسؤولية الدولة لكل من يتبني هذا الانتماء من أفراد أو جماعات أو دول.

٢ ـ الأريحية التي تتبناها قيادة هذه الدولة في مسارعتها لخدمة البعد الأول من خلال خدمة مقدساته وأهله والمنتمين إليه.

٣ ـ تسخير الإمكانات المادية التي تفضل الله بها على هذه البلاد في خدمة البعد الأول والثاني. حيث سخر الله تعالى لهذه البلاد من الإمكانات التي تزيد في المسؤولية سواء كانت هذه الإمكانات في باطن الأرض أو على ظاهرها من الخيرات المادية والإمكانات البشرية التي تزداد خبرة وعلماً يوماً بعد يوم.

ومن هذا المنطلق، منطلق المسؤولية، لا يستغرب المرء مسارعة السعوديين على المستويين الرسمي والشعبي في الوقوف مع الشعوب

الإسلامية الأخرى التي تتعرض بين الفينة والأخرى إلى النوازل أو الكوارث التي تحل بها ويكون الإنسان نفسه سبباً فيها أو بقدرة القادر الحكيم العادل سبحانه.

والجسور الجوية الإغاثية إلى المناطق المنكوبة بالفيضانات أو بالزلازل أو بالجفاف أو بالاستنزاف البشري عن طريق الاضطهاد الذي يطيب للبعض أن يجعله وسيلة من وسائل السيطرة وتحقيق أهداف دينية أو سياسية أو غيرها، هذه الجسور معلومة.

والسعوديون معروفون بمبادراتهم في الوقوف مع الآخرين في هذه المحن. ويبارك المسؤولون السعوديون رغبة المواطنين في الإسهام والتخفيف من واقع هذه المحن على إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها فتقوم اللجان التي تعمد إلى تنظيم مسألة الإسهام هذه والاستباق في وصولها لمستحقيها بعيداً عن مؤثرات جانبية قد تؤدي إلى سوء الاستخدام للتبرعات المادية والعينية.

وتجربة السعوديين في مجال الإغاثة بدأت تأخذ طابع العراقة من حيث شموليتها وسعيها إلى المسح والتخطيط والتنظيم، فالابتعاد عن الارتجالية في القرارات والنظر إلى المدى البعيد الذي تتطلبه الحالة المراد إغاثتها. ولذا تكونت اللجان والهيئات التي يراد منها أن تقوم بهذا الأسلوب الحضاري في التعامل مع الشعوب الإسلامية المنكوبة:

١ ـ ومن هذه التجارب تجربة السعوديين في الوقوف مع إخوتنا الفلسطينيين الذين نكبوا باحتلال بلادهم ـ بلاد المسلمين ـ ليقيم اليهود عليها وطنهم القومي. ووقف السعوديون رسمياً وشعبياً مع القضية هذه مما لا يحتاج إلى مزيد إيضاح، إذ الأرقام تتحدث على نفسها، والجهود قد رسمت آثارها على القضية ليس على مستوى الدعم المادي فحسب، بل وعلى المستوى المعنوي المعروف. ولا

بأس من التذكير بشعار «إدفع ريالاً تنقذ عربياً» الذي رفعه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز رئيس اللجنة الشعبية لدعم القضية الفلسطينية، وكنا ندور بالقسائم على المحلات والطلبة والإساتذة نجمع لإخوتنا الفلسطينيين ريالاً على ريال.

٢ - ومن التجارب القوية في هذا المجال تجربة السعوديين مع القضية الأفغانية حيث كونت منذ البداية هيئة عامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان، وقامت الهيئة بجهودها المطلوبة منها على الساحة الأفغانية من خلال مكاتبها في بيشاور وكويتا من مدن الباكستان المليئة بالقيادات والمهاجرين الأفغان. وعملت لجنة الأغاثة السعودية المنبثقة عن الهيئة في الباكستان على ترسيخ مفهوم المسح والتخطيط والتنظيم من خلال النظرات قصيرة المدى المتمثلة في الإغاثة المستمرة كالتربية والتعليم والتدريب والدعوة، وتنفيذ المرافق التي تهيء مثل هذه المشروعات كالمدارس ومراكز التدريب والمساجد وغيرها.

٣ - ومن التجارب الجيدة في هذا المجال التجربة السعودية في الوقوف السريع مع المنكوبين بالكوارث المقدرة كالزلازل والجفاف والفيضانات، وجهود جمعية الهلال الأحمر السعودي في هذه المواقف تذكر وتشكر، وإن كانت غير معلومة لدى البعض، لعدم الرغبة في الإعلان عن هذه الجهود لئلا يفهم منها أن في الأمر منة على الناس. ويبدو أن مفهوم المنة يتعلق بالنيات، وأن الإعلان عن هذه الجهود ليس بالضرورة داخلاً في هذا المفهوم، بل قد يطلب الإعلان أحياناً قصداً إلى دفع الآخرين إلى الإسهام في هذا المجال.

٤ - ومن التجارب الطيبة في هذا المجال سرعة الوقوف مع إخوتنا المسلمين في البوسنة والهرسك أمام الهجمة الصليبية التي يتعرضون لها حيث تكونت لجنة رئيسة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير

سلمان بن عبد العزيز، ويتمخض عنها لجان فرعية في مناطق المملكة لاستقبال التبرعات لإخوتنا المنكوبين في تلك المنطقة، وللعمل على حث المواطنين والمقيمين على الإسهام في هذا الغرض الإسلامي الإنساني النبيل. ومن الفخر أن يتوج هذا الإمر السامي بالتبرع بثلاثين مليون ريال من صاحب القرار في تكوبن هذه اللجنة فهد بن عبد العزيز راعي هذه البلاد. وكانت القيادة السعودية قد تبرعت من قبل بخمسة ملايين دولار، ثم تتابعت بعد ذلك تبرعات المسؤولين المحسنين ورجال الخير ولا تزال.

والتجارب في هذا المجال كثيرة ممتدة ومستمرة، ومعظمها يأخذ طابع السرية وعدم التصريح بها من منطلق أن المحسن ينفق بيمينه فلا تعلم شماله بهذا الإنفاق، ومن منطلق عدم إشعار الآخرين بالمنة.

رد الجميل:

ولأن المقصود في هذه التجارب تحقيق المسؤولية بأن هذه البلاد لا تنتظر من الآخرين أفراداً وجماعات ودولاً رداً لهذا الجميل، أو تسعى إلى تحقيق أغراض دنيوية ذات طابع سياسي، وإنما هي تتوقع فقط الاعتراف بهذا الجميل والتصرف بموجبه وعدم التنكر له ولأصحابه في أوقات لا يحسن فيها التنكر للمحسنين.

وينبغي لبعض الأفراد المتنفذبن في مجتمعات يصلها خير هذه البلاد ألا يسيئوا فهم هذه الأريحية وهذه المبادرات الحيوية والسباق لفعل الخير، فيفسروها تفسيرات مادية رخيصة، أو يتوقعوا أنها فرض لازب على رجال هذه البلاد ونسائها إن لم تكن فرضاً فرضه الله تعالى على الأفراد يؤدون حق الله عليهم في الخير الذي تفضل به عليهم رغبة في أداء الأمانة وزيادة هذا الخير، وغير هذا المنطلق من التفسيرات المادية السريعة باطل لا أصل له.

وعلى أي حال فقد لاقت هذه البلاد بسبب أريحيتها ومبادرتها الطيبة من سوء الفهم ما لاقت، ولكنها مصرة على المضي قدماً في فعل الخير على المستويين الرسمي والشعبي، فلا يضيرها إنكار المنكرين للفضل فهي لا تتوقع من بشر جزاء ولا شكوراً.

المحسنون:

ويستمر المحسنون في البذل والعطاء ما أُفهموا الوضع المراد البذل له، وما وثقوا بمن يسعى إلى صرف ما يبذلونه في أوجه الخير. . ويسيء لهم أن يسمعوا أن حالة شاذة أساءت التصرف أو صرفت في سرعة الاستجابة لكل مريد للتبرع ما لم يكن شخصاً أو هيئة موثوقة مدعومة من أولئك الموثوقين من المسؤولين من العلماء والقادة وطلبة العلم. ويعذرون في هذا كل العذر. فالمطلوب التثبت في هذا المجال وعدم التسرع في الإنفاق حتى يتبين الخبيث من الطيب، ومن سنن الحياة أن يوجد الخبيث، ولكنه لا يلبث أن ينكشف ويوقف عند حده، فيمكث في الأرض ما ينفع الناس ويذهب الزبد جفاء.

وتحية للمحسنين من المسؤولين والموسرين ورجال الأعمال المؤتمنين على مال الله الذي بين أيديهم. وتحية للخطوات التنظيمية في استقبال التبرعات. وتحيات للعاملين جميعاً في هذه المجالات الخيرية. ودعوات من الباري جل وعلا أن يتقبل منهم جميعاً بذلهم وجهودهم، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم مدعاة لزيادة النعمة وزيادة الأجر والثواب وتثقيل الموازين، وتحية خالصة لمن يسهمون في نشر الخير والدعوة إليه من صحفنا وإعلامنا وشبابنا وشاباتنا ورجالنا ونسائنا. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٧١٠٢

الإثنين ٦ رمضان ١٤١٢ هـ/ ٩ مارس ١٩٩٢ م

إجازة الربيع .. يقضونها في السودان

جرت العادة أن يدعو الكثيرون ممن ينتمون إلى هذه البلاد الطيبة إلى قضاء الإجازات السنوية والعادية وإجازات الربيع في البلاد ذاتها، خاصة أن الدعوة إلى هذا الأسلوب تؤيده كثير من الإنجازات السياحية التي تشهدها مناطق المملكة والتي تثبت وجودها أمام اغراءات السفر إلى خارج البلاد. وتأتي هذه الدعوة عادة قرب حلول الاجازات بأنواعها، وربما كثرت أثناء فترة الصيف وانتهاء الطلبة والطالبات من موسم الحصاد العلمي على جميع المستويات.

والدعوة إلى قضاء الاجازة داخل المملكة ـ أو المنطقة ـ دعوة فائدتها تأتي من وجهين: الوجه الأول يتمثل في التعريف بالبلاد والاطلاع على معالمها والتعرف على جوانب مجهولة من هذه البلاد، والوجه الآخر يتمثل في التوفير المادي لما ينفق خارج البلاد، إذ يبقى في يد السائح جزء كبير منه وما ينفقه يعود بالنفع على البلاد، كذلك فالذين يعملون في السياحة يدركون المردود المادي من هذا القطاع مهما تضاءله الكثيرون الذين ينظرون إلى هذه الناحية من زاوية فردية ترى أن إنفقا عشرة الآلاف أو العشرين ألفاً لا تؤثر من قريب أو بعيد في اقتصاد البلاد الذي انفقت فيه والذي حولت منه. وعلى هذا فالدعوة إلى قضاء الإجازة داخل البلاد

دعوة أقل ما يمكن أن يخرج بها القارىء أنها دعوة مخلصة تنظر إلى صالح هذه البلاد بعين عميقة طويلة المدى.

ومن خلال هذه المقدمة قد يستشف القارىء أني سأدعوه إلى قضاء الإجازة هذه ـ إجازة الربيع ـ داخل البلاد، وسأحاول تبرير هذه الدعوة بمجموعة من الأسباب أؤيد فيها ما أدعوا إليه.

ولكني لن أنحو هذا المنحى في هذه العجالة، بل إني سأدعوا الشباب خاصة إلى قضاء الإجازة خارج ربوع الوطن هذه المرة، والتركيز هنا على معاشر الشباب على غير العادة من التركيز على الشباب في قضاء الإجازة في مناطق المملكة. ولعل هناك ما يبرر دعوتي هذه لقضاء الإجازة خارج البلاد من قبل الشباب على وجه التخصيص.

لقد وجهت جمعية الهلال الأحمر السعودي نداء إلى شباب هذه البلاد تدعوهم فيه إلى قضاء إجازة الربيع في السودان الشقيق، ووعدت الجمعية بتسهيل سبل السفر بعد أن يراجع الشاب مراكز الجمعية المنتشرة ليقوم بتعبئة البيانات المطلوبة في مثل هذه الحالات العاجلة، ولم تطلب الجمعية من الشباب أكثر من حقيبة السفر وبعض المصاريف وستكفل لهم فكرة التأشيرات والتصريحات ونحوها من الأمور التي تحتاج إلى التخطيط المسبق في سبيل الحصول عليها.

يأتي هذا النداء من قبل الجمعية بعد أن أثبت مواطنو هذه البلاد ما سبق لهم أن أثبتوه في رد فعلهم الإنساني نحو النكبات التي تمر بها شعوب الأرض.. فبعد النداء الذي وجهته اللجنة الخاصة بجمع التبرعات لمتضرري الجفاف في أفريقيا انهالت التبرعات العينية على مراكز تجميع وقبول التبرعات بشكل يدعو إلى تأكيد الشعور نحو نبل المواطنين ومواقفهم الإنسانية تجاه هذه المشكلة، فكثرت التبرعات واحتاجت إلى من يقوم بتوزيعها على الجياع في مخيماتهم. ولا يتوقف الأمر عند هذا، بل يتعداه إلى الاستعانة بالشباب في حملة إغاثة مكثفة تقوم على إعانة

العاجزين وإطعام الجائعين وإرشاد الضالين ومسح الدموع من على أعين اليتامى والثكالى والتائهين.

ويأتي نداء جمعية الهلال الأحمر للشباب في الانخراط في حملة التطوع في وقت بدت فيه الحاجة الماسة إلى هؤلاء الشباب وفي وقت اتيحت لهم الفرصة للقيام بهذا الواجب الكبير حيث تخف مسؤولية الدراسة والتردد على المدارس، والتوقع هنا أنه ربما لا تحول الدراسة دون القيام بمثل هذا العمل النبيل، إذ إن مديري التعليم والجامعات لا يتوقع أن يترددوا في إيفاد مجموعات من طلابهم للقيام بمثل هذا العمل، بل ربما تعدى الأمر هذا إلى وضع مكافآت تشجيعية لهؤلاء المتطوعين عند عودتهم، وقد حلت لهم مكافآت لا تعدلها المكافأة التشجيعية، ولكن الذي يشجع على انتهاز هذه الفرصة هو أننا نعيش هذه الأيام فترة الإجازة، وما أجمل أن يقضي المرء إجتازته بهذا الأسلوب.

ولعل تجربة إجازة الربيع توحي للمسؤولين في جمعية الهلال الأحمر السعودي إلى تمديد فترة التطوع لتشمل الإجازة الصيفية، حيث المدة أطول وارتباط الطلاب المنهجي بالدراسة أخف مما هو عليه الآن، والرغبة في السفر خارج البلاد أكثر، خاصة أن ظاهرة المجاعة هذه لا يتوقع منها أن توقف عند فترة معينة من الزمان كما سبق وأن ألمحت في حديث سابق على الجوع، وذكرت أن هذه الظاهرة ربما استمرت بخلاف النكبات المؤقتة الناتجة عن فيضان أو زلزال أو نحوه. وعليه فإن جهود أهل الخير لا يتوقع أن تقف عند حد. وجهود الدعاة إلى فعل الخير لا يتوقع أن تكل، والتذكير بهذه الظاهرة لا يتوقع أن يفتر فالمسؤولية لا تقف عند فئة دون فئة من الناس، بل لابد من تضافر الجهود لتقديم صورة طيبة لما هو عليه المواطن السعودي والخليجي من التعاطف مع الآخرين الذين تمر بهم مثل هذه الظروف.

وفي تمثيل الشباب السعودي والخليجي لبلادهم في هذه المناسبة الأليمة تمثيل للشباب المسلم الذي يحتاج إلى أن يثبت للآخرين أنه عضو فعال في مجتمعه وفي المجتمعات الأخرى، في وقت تنهال عليه الاتهامات الموجهة من قبل عناصر غريبة حاولت أن تنزع منه انتماءه إلى خلفيته وقصره على ما رزقه الله من خبرات اتخذوها جانبا سلبيا وصموا بها شباب هذه المنطقة. وكثيراً ما واجهنا هذا الاتهام مباشرة أو من قبل وسائل الاعلام التي تخدم البلاد التي كنا فيها من الدارسين. وفي فكرة التطوع هذه إبراز لدور الإسلام ممثلا في شبابه إزاء هذه القضية حيث تترجم تعاليم الإسلام القائمة على تفريج الكرب وإغاثة الملهوف عمليا من قبل مجموعة ممن ينتمون إلى هذا الدين ويريدون أن يثبتوا للعالم وقوفه إلى جانب هؤلاء. خاصة أن البعثات التنصيرية تنتهز هذه الفرصة لنشر دعوتها، ولعل آخر الإحصائيات التي اطلعنا عليها تطوع عشرين شاباً من الولايات المتحدة وحدها للمساهمة في مساعدة المتضررين من الجفاف، ولعل الجانب العلمي خير كفيل للحد من النشاط الغريب في أرض تعودت على خلفية واحدة وينظر أهلها إلى الموسرين من أهل هذه الخلفية بعين الأمل والرجاء.

* * وقضاء إجازة الربيع خارج البلاد بهذا الأسلوب سيتيح للشباب السعودي والخليجي فرصة العيش ومعايشة الحالة عن قرب، مما يعطيهم دفعة رجولية عظمى تتيح لهم جميعاً التفهم الشامل لمعنى الحياة عند النظر إلى الجوانب التي يبدو منها أنها سلبية من خلال الآثار التي تتركها حالة القحط والجوع والجفاف، حتى قيل إنهم في بعض المناطق لم يستطيعوا الحصول على أكفان الموتى فكفنوهم بأوراق الشجر. ومثل هذه المشاهدة فيها صقل للشاب يعينه على الوقوف أمام الحالات غير المعتادة التي يدرب عليها عادة مجموعة من الشباب في دورات خاصة بالكشافة

والجوالة. وما أجمل أن يترجم التدريب في المخيمات إلى نواح عملية تستغل فيها مقدرات الشباب وطاقاتهم وحماسهم وصبرهم على الشدائد، وهذه سمات لا نجامل إذا قلنا أنها تغلب على شباب هذه المنطقة.

والمعايشة هذه ستتيح للشباب الاطلاع المباشر على الصورة بحيث يعودون وقد وطنوا العزم على العودة إن اتيحت لهم الفرصة مرة أخرى وقد أقنعوا الكثيرين بما رأوا وما قاموا به، فليس من رأى كمن سمع، فتتسع رقعة المتطوعين وما يتبع ذلك من تسهيل على المنكوبين، بحيث تصلهم المؤن بوقت أسرع. ومجهود التغلب على هذه المشكلة ويكفي هؤلاء فخرا أن يشهد لهم التاريخ بما يقومون به من أعمال إنسانية ترفعهم إلى مصاف الرجال.

* * والملاحظ أن فكرة التطوع هذه سوف تضمن وصول المؤن والعينيات إلى المستحقين من الجياع بدلاً من أن تترك نهبا لحرارة الشمس وتقلبات الجو فتزول أهميتها وتفقد مفعولها.

* * وبعد هذا فإن في هذه الخدمة الأنسانية الكبيرة مرونة بحيث تتيح للشاب أن يقضي أسبوعاً واحداً في السودان أو أسبوعين أو عشرة أيام وربما أقل، فليس هناك تقييد بفترة حددت من قبل هذا مما يدفع الشباب إلى الإقبال عليها فليس أقل من أن يقضي الشاب أسبوعاً خاصا يعتبره فيما بعد صفحة ناصعة في حياته المليئة بالصفحات البيضاء الناصعة. ولهذا كله جاءت الدعوة إلى قضاء الإجازة هذه خارج البلاد، فنحن بأمس الحاجة إلى مثل هذا الأسلوب في قضاء الاجازات.

الجزيرة، العدد ٤٥٢٣

الجمعة ٢٥ جمادى الإولى ١٤٠٥ هـ الموافق ١٥ فبراير ١٩٨٥ م

الخير.. والتنسيق..!!

يبدو أننا الآن نمر بمرحلة التخطيط والتنظيم في معظم أعمالنا، وكنا نفتقد هذين العنصرين في أعمال ماضيه.. وتتجدد اليوم المسؤوليات وتتفرع التخصصات.. ونجد أننا في سبيل مواجهة هذه المسؤوليات نعمد إلى إيجاد روابط مع الجهات التي تماثلنا في تحمل المسؤولية.

ويبدو أن العالم الإسلامي اليوم يمر بمرحلة عجيبة من تاريخه الطويل، إذ إن هناك عودة قوية وصادقة إلى الإسلام تخيف الآخرين فيهجمون على المسلمين هجمات مباشرة يضيقون فيها عليهم.. وتنفتح أمام المسلمين جبهات تزيد من المسؤولية في الشرق والغرب والجنوب.

وينظر المسلمون إلى الهيئات الخيرية لتسهم في تخفيف وطأة الهجوم الشرس الذي يتعرضون له. والهيئات الخيرية تقوم إمكاناتها على ما تجود به أيادي المحسنين من مؤسسات وأفراد. وتعمل على تضميد الجراح ولكن في حدود إمكاناتها.

ولأن الإمكانات محدودة والطلب يزداد كان لابد من إيجاد وسيلة لتلبية الطلبات في حدود الإمكانات. ومن هنا تبرز حتمية التنسيق بين الهيئات الخيرية في مقابلة المحن والإزمات التي يمر بها المسلمون.

وفي مقر الهيئة الإسلامية العالمية للإغاثة في جدة عقد يوم الأربعاء الماضي اجتماع ضم مجموعة من العاملين في الهيئات الخيرية لمناقشة فكرة التنسيق بينها منعاً للازدواجة في الجهود ومن ثم رغبة في عدم تشتت هذه الجهود.

وأظن أن هذه الخطوة عملية رغم أن الرغبة موجودة لدى الجميع، ولكن كان لابد من الجلوس لمناقشة السبل التي تكفل فيام التنسيق بين الهيئات.

وأعلم أن هذه الفكرة مطروحة منذ زمن بين الهيئات العالمية والتنصيرية وكل منها يسد عجز الأخرى، ويغطي عنها ما تعجز عنه، وتمثل هذا واضحاً في إيجاد مجلس تنسيقي على الساحة الأفغانية تحت اسم «أكبر» فقامت الهيئات الخيرية الإسلامية بإقامة مجلس لها للتنسيق بينها تحت اسم «الله أكبر»، وتفرعت عن المجلس عدة لجان تصب اهتمامها على فرعيات العمل الخيري بين الأفغان.

ومثل هذه الخطوة مطلوبة على المستوى العام وبخاصة أن الآمال تتطلع إلى زيادة عدد الهيئات الخيرية في بلاد الخير (المملكة العربية السعودية) والبلاد الطيبة الأخرى، مما يفرض وجود هذا النمط من التخطيط والتنظيم.

وفي الوقت نفسه نجد أن هناك أفراداً من فاعلي الخير لا يريدون الدخول في «دوامة» التخطيط والتنظيم، إذ لدى الواحد منهم مبلغ من المال يخصصه لمشروع خيري من باب الصدقة الجارية ولا يحب أن تتدخل فيه «عناصر» أخرى، وهذه نظرة تحتاج إلى مزيد من التفكير لأن المسألة اليوم لم تعد بالصورة التي كانت عليها، فنحن نمر في مرحلة تتطلب الاستثمار في الأعمال الخيرية والاستمرارية في الدعم وعدم الاعتماد الكلي على المبالغ المقطوعة، وعليه فإنه يطلب من هؤلاء الأفراد

ومن أهل الخير أن يثقوا بالهيئات الخيرية التي تتكفل بصرف الخير في مواطن الخير وتحاسب على ذلك من خلال التقارير التي تقدمها للمحسنين ولعامة الناس.

بارك الله في الخطوات التنظيمية والتخطيط، وأعان القائمين على الهيئات الخيرية على هذه الخطوة الطيبة في التنسيق بين أعمالها واهتماماتها، وكان الله في عون الجميع.

obeikandl.com

حملات توعية المسلمين

في مدينة كبيرة من مدن الولايات المتحدة الأمريكية يوجد سبعة من المساجد تقام فيها الفروض والجمعة والأنشطة الإسلامية.

وكانت هذه المجموعة من المساجد مراكز إسلامية لا تخدم أحياء بعينها، ولكنها تخدم مجموعات بعينها، وكما يمر على كل مجتمع مسلم يمر على هذه المراكز مشكلة تحديد أو رؤية هلال رمضان المبارك، والاختلاف الوارد يكاد ينطبق على مدينة واحدة فتجد بعضاً من المسلمين صائمين وبعضا آخر لم يصوموا بعد لأنها لم تثبت لديهم رؤية الهلال، وكان هناك نقاش ولقاء ومناظرات ومحاولات للاجتماع ولو على رؤية الهلال، ومن هنا انبثقت لجنة تمثل المراكز السبعة كانت مهمتها الاتفاق على رؤية الهلال سواء في المدينة نفسها أو في الولاية أو في أمريكا أو خارج أمريكا، ولأن هذه المراكز تمثل مجموعات، كان لا بد من أن يكون بينها نوع من عدم اتفاق، وإلا لم تكن مجموعات. هكذا كان الانطباع السائد، وعلينا أن ندرك هنا أن السبب في هذا ناتج عن أن خلفية بعض هذه المراكز تنبع من أن أصحابها لم يكونوا من قبل مسلمين، وفي دينهم السابق كان التوزع والاختلاف ظاهرة متبعة معترف بها بينهم، فلم يأبهوا لآثار هذا الشقاق واعتبروه جزءاً من هذا الدين العظيم الذي

اعتنقوه. والواقع أنه ليس الأمر كذلك، لأن الدين الأسلامي تناول كل القضايا في حياة المسلم بوضوح.

على أي حال كان هناك اتفاق على رؤية الهلال، ولكن لم يصادق عليه «إمام» أحد المراكز وجعل مندوبه يصادق عليه. وعندما سئل عن سبب هذا الإجراء كان رده أنه لا يستطيع الاتفاق مع الاخرين ويبقى إماماً لهذا المركز لأنه بنى إمامته لهذا المركز على هذا الاختلاف.. منطق عجيب فعلاً، ولكنه يعكس الحالة التي كان عليها بعض من أولئكم الذين دخلوا الإسلام في الآونة الأخيرة ولم يوفقوا إلى من يأخذ بأيديهم ويقودهم إلى الطريق الصواب، وهذا مثال واحد على مثل هذا الانحراف في الفهم للدين القويم. على أن هناك أمثلة أخرى من هؤلاء الذين اتخذوا الدين أحياناً لتحقيق مصالح دنيوية وذاتية، ويستخدمه هؤلاء على أنه لائحة أو نظام، كل يفسره على حساب ما يحقق أغراضه. فترى هناك العلماء دون علم والمفسرين والشارحين والمتقولين على الدين دون علم مسبق بالعقيدة أو الأحكام يعيشون في دول الغرب.

ولهذا السبب ولأسباب أخرى كثيرة تأتي أهمية حملات التوعية لهؤلاء المسلمين الذين دخلوا الإسلام حديثاً ويتقبلون التوعية، ويبحثون عنها بين الصادقين من إخوتهم، ويجدونها فيهم يطبقونها للآخرين فيصبحون بهذا قدوة حسنة لمن يريد أن يأخذ عنم، ولذا نجد الاستغراب الكبير عندما يحدث من بعض من شرفهم الله بدخولهم الإسلام دين الهداية ما يسيء إلى نظرة الناس إليهم كمسلمين، حتى ينسى الآخرون أن هؤلاء القدوة ليسوا معصومين من الزلل والخطأ ولكن خير الخطائين التوابون، وعليهم أن يتبصروا في دينهم وهو العاصم بإذن الله من الخطأ والزلل.

وهناك قدوة من المسلمين كانوا سبباً في إسلام أعداد غير قليلة،

بعضهم كان سبباً في إسلام البعض مع أنهم لم ينطقوا ولم يعظوا، ولم يحاضروا، ولكنهم كانوا يتصرفون في طعامهم ولباسهم ومعاملتهم تصرف القدوة، فتركوا الانطباعة الطيبة في مجتمع يعيش في عالم من التناقضات.

وإذا كانت هذه القدوة مدعومة بالعلم ومعرفة الدليل والربط مع الواقع كان التأثير غير متصور وكانت الفعالية لا تكاد تصدَّق. وقد خطت سفارة خادم الشريفين في واشنطن خطوة غير بسيطة في سبيل توعية المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، فقامت ممثلة بمكتب الشؤون الإسلامية بالسفارة، وبرعاية خاصة من سمو السفير، وبالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بإقامة الدورات العلمية لأئمة المساجد والقائمين على المراكز باللغتين العربية والإنجليزية. وكانت البداية في العام قبل الماضي ١٤٠٧ هـ عندما توجه مجموعة من طلبة العلم في جامعة الإمام إلى واشنطن العاصمة، وأقيمت الدورة لمدة شهرين كان الدارسون خلالها ضيوفاً على سفارة خادم الحرمين الشريفين، وكان هناك علم، وكانت هناك نتائج، وكان هناك نجاح أدى إلى تأكيد على تكرار هذا التجربة، فتكررت العام الماضي ١٤٠٨ هـ. في كل من ولاية ميتشيغان وتكساس وكاليفورنيا، وكان التركيز على كاليفورنيا في «أورانج كاونتي»، ولم يقتصر الأمر على العرب أو على الأمريكيين، بل كان عاماً لكل المسلمين من ماليزيا وأندونيسا ودول أفريقيا وأوروبا، وكل من كان راغباً في الانخراط في هذه الحملة، ولنجاح هذه التجربة لم تقتصر على الولايات المتحدة بل كانت هناك دورة في مانشستر في بريطانيا، وربما تكون هناك دورات أخرى في أماكن أخرى.

ومن مميزات هذه الدورات أنها أولاً علمية، فاكتسبت القوة، وثانياً أنها مكثفة فبرنامجها يغطي ساعات طوالاً خلال أيام الدورة، وثالثاً يقودها طلبة علم من دكاترة ومحاضرين ومعيدين في تخصصات العقيدة والسنة

والفقة وعلوم القرآن. وقد اشتهرنا في بلادنا ولله الحمد بتأكيدنا على سلامة العقيدة والاهتمام بالسنة، وتقصي علوم القرآن الكريم، وتطبيق أحكام كتاب الله، فانعكس هذا على أبناء هذه البلاد الذين ينقلون فهماً صافياً لهذا الدين يدركون كنهه ويفقهون تعاليمه، ويصلون إلى الحكمة فيه وجوانب السعة واليسر، ويبتعدون عن التعسير والتنفير.

والأمل أن تستمر سفارة خادم الحرمين الشرفين في واشنطن، وأن تستمر جامعة الإمام في تغذية هذه الدورات بالإمكانات والرجال، وأن تمتد هذه الأنشطة من حيث الوقت والمكان. وفق الله الجميع لما فيه الخير. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٥٨٤٧

السبت ٢٠ صفر ١٤٠٩ هـ الموافق ١ أكتوبر ١٩٨٨ م

obeikandl.com

حملات توعية المسلمين (٢)

في عدد سابق تحدثت على حملات توعية المسلمين، وكان الحديث مركزاً على توعية المسلمين في الدول الصناعية، وأعطيت مثلاً بالدورات التي أقيمت في كل من أمريكا والمملكة المتحدة خلال العامين المنصرمين. ولعل الحديث على توعية المسلمين في المناطق الصناعية يجعل البعض يتساءل وما نصيب الدول غير الصناعية والمسماة بالنامية من حملات التوعية؟ والحق أن هذا تساؤل وارد ولابد من البحث له عن إجابة.

وللبحث له عن إجابة لابد أن نذكر جهود الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والافتاء والإرشاد. فلهذه الجهة أيادٍ بيضاء مبسوطة ـ بفضل الله ـ على أكثر بقاع الأرض فلا تكاد تبحث عن مجموعة من المسلمين إلا وتجد بينهم من يعظهم ويعطيهم من العلم الذي أعطاه الله أياه. وخاصة أن هؤلاء يكونون قد تخرجوا من جامعات ومعاهد علمية إسلامية، فحصلوا على الخلفية الكافية التي تعينهم على السعي في تصحيح العقائد وتنوير المسلمين في مجال العبادات. وإذا ما استمر الطلب على مزيد من الدعاة فإنما ذلك ناتج عن زيادة الوعي وإدراك المسلمين لحاجتهم إلى العلماء، وتركهم الاتباع والتقليد لبعض اولئك

الذين ورثوا بعضاً من الطقوس اختلطت فيها تعاليم الإسلام بالموروث القلبي، وكان للنفعية فيها نصيب واضح باسم الإسلام، فأبعدت كثيرين ممن لم يدركوا أن هذا ليس من الإسلام. فإذا ما أدرك الناس أنه ليس من الدين ولا يقره العقل البشري المفكر تهافت المسلمون على العلماء يسألون ويستفتون وربما أحياناً يناقشون في قضايا أو تأثروا فيها بما كتب عن الإسلام من غير المسلمين.

وجهود الرئاسة العامة تذكر ولا تنسى، ولكنها لا تقبل بالإطراء بقدر ما تتوقع النقد الهادف الذي يبين لها وجوه التقصير فتحاول أن تتلافاه، وتلك علامة من علامات الإخلاص في العمل وابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى فيه. وإذا تضافرت جهود سفارات خادم الحرمين الشريفين مع جهود الرئاسة كانت الصورة أوضح، إذ يكون على السفارات ممثلة بأقسام الشؤون الدينية الدراسة وتقديم المعلومات وتهيئة الجو الملائم للدعاة الذين تتولاهم الرئاسة وتختارهم. فلا يكفي من السفارات أن تستقبل الدعاة، ولكن الرأي أن يكون لها أثر في اختيار الدعاة. والمسؤولون عن قسم الدعوة في الخارج في الرئاسة العامة يدركون مقومات الداعية في الخارج من حيث اللغة أولاً ومن حيث التفاعل مع البيئة وتقبل العيش بها والولوج في مجالات لابد من الولوج بها في سبيل تحقيق أكبر قدر ممكن من التأثير، فلا يتوقع مثلاً من الداعية في الخارج أن يبقى في منزله يرتاده الناس، ولا يتوقع من الداعية في الخارج أن يرى كثيراً من البدع والخرافات، فينهال عليها بالسب والشتم ومحاولة التغيير المباشر أو الاستسلام لها ومغادرة المكان الذي تنخر فيه، والبحث عن مكان صافٍ لا جهد فيه ولا عناء. ولا يتوقع في الداعية في الخارج ألا يجلس مع المسلمين فيأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون ويلبس مما يلبسون ما دام هذا كله داخلاً فيما أباحه الله تعالى. وهكذا.

والدعوة وحملات توعية المسلمين في المناطق المسماة بالنامية لا شك أنها أصعب وأشق من التوعية في المناطق المسماة بالصناعية، إذ تتطلب الدعوة في مناطق العالم الثالث مزيداً من الصبر والمعاناة، فليس كل شيء متوفراً، فهناك نقص في المواصلات، وهناك نقص في الاتصالات، وهناك نقص في المطبوع، وهناك نقص في الموارد، وربما يكون هناك إحساس بأن واجب الداعية يحتم عليه أن يوفر لهؤلاء كل المقومات المطلوبة لتسهيل مهمته. فإذا أضيف إلى هذا كله تفشي الأمية وشيوع الأمراض والفقر وجدنا أن الداعية يحتاج إلى أن يكون صاحب مجموعة من المواهب والقدرات. وليس هذا محاولة لوضع تصور عن الداعية في الخارج فلهذا أهله. ولكنه تذكير فقط للآخرين بأن المهمة غير يسيرة رغم أن لها رجالها.

وتجد هذه البلاد أن من واجبها أن تقوم بأثر فعال في توعية المسلمين في المناطق النامية من خلال الدعاة ومن خلال الدورات ومن خلال الوجود الأسلامي المدعوم من حكومة آلت على نفسها حماية الإسلام الحق الذي جاء به القرآن الكريم وشرحته سنة المصطفى ﷺ. وبغض النظر عن نوعية هذا الوجود لكنه مطلوب ليسد النقص ويقضي على الثغرة التي قد يستغلها الآخرون فينطلقون منها مقدمين صورة غير صادقة عن الإسلام وعن المسلمين.

ولن يتوقف الأمر عند جهود الرئاسة العامة بل لابد أن تساندها في هذا دور العلم في الجامعات السعودية والجامعات الإسلامية الأخرى تقدم الخبرات والعقول والإرادات المستعدة، فرسالة الجامعات السعودية والجامعات الإسلامية لا تتوقف عند الطالب والأستاذ والكتاب.

ومرة أخرى أعود لتجربة سفارة خادم الحرمين الشريفين في واشنطن في هذا المجال فأجد أنها تسهم في الحملة لتوعية المسلمين ليس

في أمريكا وبريطانيا فحسب، ولكن ربما في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وجزر الكاريبي وربما أبعد من ذلك. وأجد أن هناك دورة تعقد في نهاية هذا الشهر في دولة الترينداد، تلكم الجزيرة القريبة من أمريكا الجنوبية حيث يقطنها مليون ونصف المليون، منهم مائة وخمسون ألفاً من المسلمين، وبها تسعون مسجداً وثمان مدارس إسلامية وكليتان للأولاد وكلية للبنات المسلمات، وفيها نشاط إسلامي يبشر بالخير. وتحتاج إلى المزيد من العلماء والدعاة مثلها في هذا مثل أي جالية مسلمة في كل مكان. ولكن الذي يميز الترينداد أن رئيسها مسلم يثنى عليه، وأن رجالاً في الدولة مسلمون متعطشون للإسلام ويرحبون بالوجود الإسلامي في بلادهم، بل ويدعون له.

ولعل سفارات خادم الحرمين الشريفين تكثف من جهودها في هذا المجال مستعينة بالمؤسسات العلمية ذات الاستعداد القائم الآن للتزويد بالعلماء والدعاة والمفتين، ومستعينة بالجمعيات الخيرية التي تقدم جهوداً مشكورة في هذا المجال.

وليس هناك تفضيل لمكان على آخر، وإن كان هناك من يفضل تكثيف حملات توعية المسلمين في المناطق النامية، والكل يحتاج إلى مثل هذه الحملات وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٥٩٢٤

السبت ٨ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ. الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٨٨ م

دورات الأئمة والدعاة.. والتبشير المضاد!

في الفترة من ١٥/ ١٢/ ١٤٠٩ هـ ـ ١٨/ ١/ ١٤١٠ هـ الموافق ١٨/ ٧ ـ ١٩/ ٨/ ١٩٨٩ م أقيمت في كل من فرنسا وألمانيا الاتحادية دورتان للأئمة والدعاة والداعيات. كانت مدة كل دورة أسبوعين، وكانت مليئة بالأنشطة «المنهجية وغير المنهجية» وقد تولت جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض مهمة الإشراف والإعداد للدورتين على غرار ما أقيم في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا منذ عام ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م ورعتها سفارة خادم الحرمين الشريفين بالولايات المتحدة الأمريكية/ الشؤون الإسلامية.

وقد شارك في هاتين الدورتين ستة من أساتذة جامعة الإمام من المتخصصين في القرآن الكريم وعلومه، والسنة النبوية وعلومها، والفقه وأصوله، والعقيدة والمذاهب المعاصرة، والدعوة، وبالاضافة إلى هؤلاء الستة كانت هناك مشاركات من قبل بعض الضيوف المدعوين من فرنسا وألمانيا وتركيا والمملكة العربية السعودية قاموا بالقاء محاضرات على الدارسين في الفترات المسائية وقاموا كذلك بجولات على مدن فرنسا مثل باريس، وليل، ورامس، وديجون، وليون، وبوردو، ونيس، وعلى مدن ألمانيا الغربية مثل بريمن، وفرانكفورت وبرلين، وبون، وآخن،

وجوتنجن واوزنابروك ومونستر، وهامبورج، وميونخ بالإضافة إلى جولات تشمل إعداد خطب الجمعة وإلقاءها والمحاضرات والدروس واللقاءات المفتوحة.

أما المشتركون في الدورتين فكانوا في الغالب من الجاليات المسلمة التي تقطن كلا من فرنسا وألمانيا، وقد شارك فيهما مسلمون من بقية البلاد كالسويد ويوغوسلافيا وتركيا وبولونيا، وبلجيكا، وهولندا، وبلغاريا، واليونان. وحيث إن المسلمين الأتراك في ألمانيا الغربية أغلبية فقد استعان المشرفون على الدورة بأربعة أساتذة من كلية الإلهيات بجامعة أنقرة بتركيا قاموا بتدريس العلوم المذكورة أعلاه باللغة التركية.

وكان عدد المشتركين في الدورتين مائة وتسعين من المشاركين والمشاركات كان منهم خمسة وتسعون مشاركا، وخمس عشرة مشاركة في فرنسا، وثمانون في ألمانيا الاتحادية. وقد أمنت للمشاركين وسائل النقل والسكن والإعاشة، هذا بالإضافة إلى المتوفر من الكتب والرسائل وهدايا توزع على المشتركين مع نهاية كل دورة.

* * * وهذه الدورات تركز على الأئمة والدعاة من رؤساء المراكز الإسلامية وأئمة المساجد والمعنيين بالدعوة الإسلامية. ولذا تأتي مكثفة مليئة بالمعلومات، من خلال الدروس المنهجية التي يلقيها الأساتذة المتخصصون من المشايخ وطلبة العلم أو من المشاركين في المحاضرات التي تقدم للمشتركين في المساء. وكانت تلقى ست محاضرات يومياً عدا المحاضرة العامة المسائية واللقاء المفتوح الذي يعقب المحاضرة المسائية. وتركيزها على الأئمة والدعاة فيه تطلع إلى أن تنعكس آثار هذه الدورات على بقية المسلمين المقيمين في تلك البلاد. وهذا ملحوظ من خلال متابعة آثار الدورات السابقة. فقد وجد الأساتذة والمحاضرون شيئاً كثيراً من النقاط التي علقت في أذهان أبناء الجاليات والتي احتاجت إلى

مزيد من الإيضاح. وكان بعض طلبة العلم لا يجدون مجالا للراحة من كثرة ما يواجهونه من استفتاء واستفسار ونقاش وتصحيح معلومات حول جميع شؤون الحياة، مع التركيز على وضع المسلم في بلاد غير إسلامية وما يتعرض له من تحديات في المأكل والمشرب والملبس والأداء.

* * * وهذا يؤكد فكرة طالما تردد الحديث فيها وهي أن المسلمين في أوروبا ـ عموماً ـ وفي أمريكا وربما في بلاد أخرى كأستراليا بحاجة ماسة إلى العلماء الشرعيين أكثر من حاجتهم إلى المفكرين الذين يركزون على عموميات الدين ويكون هذا التركيز غالباً على حساب الأمور التنفيذية من تصرف أو سلوك، المسلمون بحاجة إلى معرفة الحكم حوله. وربما لجأ بعض «المفكرين» إلى التصدر للفتيا وإطلاق الأحكام دون أساس راسخ من علم شرعي، فترى «التسبب» أحيانا في بعض الأحكام الواضحة، لو عاد هؤلاء المفكرون إلى مظانها، أو كانت لدى هؤلاء المفكرين الخلفية الشرعية الكافية. ولأن هذا المنهج هو الغالب في هذه المجتمعات تجد نسبة غير قليلة من المسلمين يجهلون كثيراً من الأحكام الشرعية التي تعينهم على تفسير بعض الظواهر التي تمر بها بقاع من العالم الإسلامي اليوم. ولذا كثر الخلط في أمور واضحة لدى طلبة العلم ممن قاموا بإيضاحها لمن حولهم فخفت حدة النقاش والجدل أمام حكم الله تعالى على بعض القضايا.

* * * وتقوم هذه الدورات بجهد مقدر وواضح النتائج في سبيل التعمق في الإسلام والغوص الجاد في معاني الإيمان مما سيكون له آثار إيجابية على مجرى الدعوة الإسلامية على المدى البعيد، فالمعروف أن نتائج هذه الدورات غير مرهونة بزمن قريب إلا النتائج المباشرة من حيث الانطباعات التي تصل إلى القائمين على الدورة من خلال الاستبيانات التي توزع على المشتركين، وتطلب منهم الإجابة عليها بكل جدية وصراحة.

فتكون الإجابات دليلا على التقويم العام للدورة وما يمكن أن يتلافى في دورات لاحقة.

* * * ولذا وفي سبيل ترسيخ هذا العمق والزيادة في الغوص في معاني الإيمان لابد من العمل على تكرار مثل هذه الدورات، ليس بالضرورة في البلد نفسه الذي أقيمت فيه من قبل، ولكن المهم أن تقام بشكل دوري تتاح فيه الفرصة لأكبر قدر من المشتركين من القائمين على العمل الاسلامي في البلاد الأخرى، وربما لزم التنويه هنا إلى عدم إغفال بلاد بعض المسلمين في آسيا وأفريقيا ممن هم بحاجة أيضاً إلى أن تقدم لهم الصورة الصادقة عن الإسلام بعد أن علق بها كثير من الغبش من قبل أولئك الذين يتحدثون باسم الإسلام وهم في الغالب بعيدون عن الإسلام، أو يجهلون حقيقة الإسلام. وفي البلاد الإسلامية الأخرى كثير من السلوكيات الملصقة جهلاً بالإسلام، وهي مجرد عادات أو تقاليد محلية اختلطت بتعاليم الإسلام واعتبرت جزءاً بارزاً فيه، وأخذها الآخرون ـ من غير المسلمين ـ حجة على الإسلام، بل جعلوها المقياس الذي بنوا عليه الحكم على الإسلام. وعلينا ألا نغفل الأثر الذي تؤديه هذه الدورات في سبيل تصحيح المفهومات، ولذا لزم أن تشمل البلاد الإسلامسة بالإضافة إلى خروجها إلى أوروبا وأمريكا.

* * * والحق أن هاتين القارتين محظوظتان في توجه الدعوة الإسلامية لهما، فهما مجتمعان خصبان لدعوة الحق، ولابأس من تضافر الجهود والتوسع في الجهود الموجهة إلى البلاد الإسلامية إضافة للجهود القائمة الآن، وهي جهود تشكر ولا تنكر، تقوم بها معاهد ومراكز ومؤسسات وهيئات إسلامية مختلفة، منطلق بعضها من هذه البلاد الطيبة، وينال البعض الآخر منها الدعم والرعاية أيضاً من قادة هذه البلاد، وقد أقامت جامعة الإمام مجموعة من الدورات في كل من الفلبين وماليزيا

وغانا والصومال وكينيا وغيرها من البلاد الآسيوية والإفريقية، والتركيز هنا على تكثيف مثل هذه الأنشطة.

* * * وغالباً ما يخرج الأساتذة المشاركون بالانطباعية أن المجموعات التي يتعاملون معها تحتاج إلى المزيد من مثل هذه الجهود، وهؤلاء الأساتذة وأترابهم - ولا نزكيهم على الله - هم خير من يقوم بمثل هذه المهمات. والبلاد السعودية وكثير من بلاد المسلمين مليئة بفضل الله تعالى بهذه الطاقات العلمية الشابة في علميتها والتي تغوص في أعماق العلم الشرعي بحثا ودراسة وتحليلا. والحق يقال إن هذه البلاد تشق طريقها مطرداً في القيادة العلمية للعالم الإسلامي، يبرز من خلال هذه الجهود العلمية والدعوة التي يقودها رجال العلم في هذه البلاد من أبناء البلاد وممن تلقوا العلم على رجال العلم في هذه البلاد.

التبشير المضاد..!

لا يرتاح البعض لتكرار مصطلحات يغلب استخدامها على ظواهر شاعت في المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي كالتبشير، ويفضل أن يقال التنصير لأنه يعبر عن نظرتنا لهذه الحملات، وإن كان التنصير قد تحول من إدخال المسلمين في النصرانية بعد أخراجهم من الإسلام إلى إخراجهم من الإسلام فحسب.

ولعل هذه الدورات التي نحن بصدد الحديث عليها تشكل جانباً من جوانب التبشير المضاد، حيث تقوم بتحقيق مجموعة من الخطوات نحو إيضاح الصورة الحقيقية الإسلام بين الجاليات المسلمة في كل مكان. ومتى ما وضحت الصورة وزال عنها الغبش لن يكون هناك مجال للتنصير في البلاد الإسلامية وبين الجاليات المسلمة.

والدورات تشكل جانباً واحداً من جوانب عدة للتبشير المضاد،

وتقوم بها الهيئات العلمية، كما تقوم بها جامعة الإمام الآن، وعلى االهيئات الاجتماعية القيام بتحقيق بعض الجوانب الأخرى تزاملها في هذا هيئات دينية وعربية لا تركز على الدعوة المباشرة لأنها تريد تحقيق فكرة التبشير المضاد، فعليها تأمين سبل العيش من إقامة المستشفيات وإقامة المدارس والمعاهد المهنية والفنية بالإضافة إلى عمارة المساجد في الأوساط المسلمة. ولذا فإن المهمة ليست كما يتصور البعض على جانب من السهولة، ولكنها في الوقت ذاته ليست على جانب من جوانب الاستحالة والصعوبة المتعذرة، لأن هناك جهوداً قائمة اليوم تقدم خدمات طبية ودراسية جليلة للمسلمين في أدغال أفريقيا. وقد تكرر الحديث في هذا الموضوع في أكثر من مجال.

والتأكيد على تكرار الحديث يأتي بسبب أن الأمر عزيز على النفس، وكلما وجد المرء خطوة نحو تحقيق الوجود الإسلامي بين المسلمين تفتحت لديه أبواب الأمل في أن يعم الخير بلاد المسلمين ويشع نور الإسلام على مجتمعات طالما تخبطت في الظلام، ولابد من التأكيد أيضاً على أن هذه الجهود المشكورة تعد خطوات في طريق طويل طالما طرقه غيرنا من المنصرين والمستعمرين. وفق الله القائمين على هذه الجهود وشكر الله لهم إصرارهم على إنجاح هذه الدورات، وجعلها في ميزان أعمالهم. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦١٩١

الأحد ١٠ صفر ١٤١٠ هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٩٨٩ م

أوروبا .. وألف ألف مصحف !

من ضمن فعاليات مهرجان الجنادرية السادس «المهرجان الوطني للتراث والثقافية» إقامة الدورة الثقافية الكبرى والندوات الفكرية على مدى تسعة أيام. وكان من بين الندوات الفكرية محاضرة يوم الاثنين ٨/٨/ ١٤١٠ هـ ٥/٣/ ١٩٩٠ م حول وحدة أوروبا القادمة وأثرها على المستقبل العربي، وقدمها الأستاذ السيد ياسين من مؤسسة الأهرام الصحفية بجمهورية مصر العربية. وأدارها الدكتور عبد الله القويز الأمين العام المساعد للأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربية للشؤون الاقتصادية، وعلق عليها إثنان أحدهما الأمين العام المساعد للأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربية للشؤون السياسية، والآخر الدكتور هيثم الكيلاني أحد «المفكرين» العرب.

وكنت ممن حضروا الندوة «المحاضرة» وتوقعت منها الشيء الذي لم أجده فيها لأنها ركزت على الجانبين السياسي والاقتصادي، وكان رسم السياسة العربية مبنياً على هذين الجانبين، إلا أن الدكتور هيثم الكيلاني أكد على أن علاقة الدول العربية بأوروبا علاقة قديمة، وأن الخلفية التي طغت علي هذه العلاقة هي الخلفية الدينية الواضحة مهما حاول البعض أن يعطيها قليلاً من الأهمية. ويؤكد الكيلاني على أن أوروبا لا يمكن أن

تتصرف مع العرب بمعزل عن هذه الخلفية التي كانت ممثلة في الصراع العقيدي أثناء الحروب الصليبية، وبعد الحروب الصليبية أثناء فترة الاستعمار المباشر. ولا تزال هذه الخلفية ممثلة في هذا الصراع. ولذا فإن أثر أوروبا على المستقبل العربي لن يتخلى عن هذه الخلفية، ومع هذا فهناك من يريد من أوروبا أن تنظر للعالم العربي على أنه «أمة» جمعها اللسان، وليس لها الآن إصرار على الخلفية التي رسخت في الأذهان. وهذه نظرة لا يبدو منها أنها مقنعة للعرب أنفسهم وللأوروبيين كذلك. وعليه فإن العلاقة بين أوروبا والمستقبل والعرب اليوم والمستقبل علاقة تقوم على وضع الدين واحداً من المؤثرات في هذه العلاقة.

وفي أوروبا مسلمون وبين العرب مسيحيون. والعرب يريدون ضمانات لحرية الاعتقاد لاخوانهم المسلمين في أورربا من عرب وغير عرب. والأوروبيون يبحثون عن الضمانات التي يكفلها الإسلام لاخوانهم النصارى والسيحيين العرب الذين يعيشون بين المسلمين، بغض النظر عن كون هؤلاء النصارى من الكاثوليك أو الارثوذوكس أو ربما كانوا من البروتستانت على قلة فيهم، ويعلمون هناك أن الإسلام يعامل أهل الكتاب معاملة خاصة ما كانوا تحت ظل الإسلام وقبلوا برعياته لهم. فالخلفية لديهم ـ كما أكدت ـ موجودة والمعلومات عندهم متوافرة.

الجاليات الإسلامية

وإذا كانت الجاليات المسلمة في أورربا الغربية تتمتع بميزات الديمقراطية، ويسمح لها بإقامة المراكز والمساجد والمتاجر والمدارس ويفوز فيها الحجاب في ألمانيا ثم بريطانيا ثم فرنسا، إلا أن وحدة أوروبا القادمة المرسوم لها ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م وما بعد هذا التاريخ سوف تضم أوروبا الشرقية التي لا تزال في حالة إفاقة من «الكابوس» الذي حل بها

طيلة السبعين عاما المنصرمة. وهذا زمن يصعب معه الانتقال المفاجيء إلى نظام مناقض تماماً للنظام الذي عاش فيه ونشأ عليه ثلاثة أجيال من بني أوروبا الشرقية على الأقل. وإذا كانت ألمانيا تسعى اليوم إلى الوحدة بين شطريها فلا يتوقع أن تتم هذه الوحدة بين عشية وضحاها.

وهذا الانغلاق كان له أثره على الأقلية المسلمة في أوروبا الشرقية التي هي من أبناء البلاد، وليست جاليات عربية وهندية وباكستانية وبنغالية وفدت إليها قصداً إلى البحث عن فرص العمل، وهؤلاء المواطنون كادوا أن ينسوا الإسلام مع غياب فرص الدعوة والنشاط الإسلامي والتضييق على الحريصين على تطبيق شرع الله فيهم في تلك البلدان، حتى فيما يتعلق بالأحوال المدنية من نكاح وطلاق وتسمية الأبناء، إضافة إلى إقامة الشعائر الدينية، كالصيام والصلاة المكتوبة وصلاة العيدين والسفر لأداء فريضة الحج أو العمرة، وهؤلاء أيضاً بحاجة إلى وقت ليعودوا إلى دينهم الذي يصرون على التمسك به، ولكن مع قليل من العلم الصحيح الذي أدى بهم إلى أن تتفشى بينهم الطرقية والدروشة.

هؤلاء يقيسون الآخرين عليهم غافلين عن حقيقة أنهم نشأوا على الصفاء، وتعلموا هذا الصفاء في السنوات الأولى من دراستهم. وكانت أمامهم مجموعة غير يسيرة من الرجال القدوة، وكان الحكم فيهم منبعثاً من عقيدتهم، وكان الغريب عندهم أو يروا شيئاً لا يتفق مع هذا النهج من تصرفات أفراد أو جماعات.

وجانب مهم في هذا المجال يحسن الوقوف عنده هو أن جزءاً غير يسير من المسلمين في المحيط العربي باتوا يجهلون أن هناك جمهوريات إسلامية كاملة قوامها الملايين من المسلمين في الاتحاد السوفيتي، وأن هناك أقليات إسلامية غير يسيرة العدد في بقية دول أوروبا الشرقية وصلت إلى حكم الدول، وكأن هذه الفئة من المسلمين أضحت في ذمة التاريخ.

وأصبحت الأسماء مثل بخارى وسمرقند وطشقند وأذربيجان وطاجكستان وغيرها من معالم التاريخ التي خلفت لنا اعلاماً إذا ما ذكرت أسماؤهم راحت الذاكرة تتخبط في مجاهل الماضي. وما علم هؤلاء أن الأحفاد لا يزالون يحاولون السير على خطى الأجداد.

المليون مصحف

ولعل من معالم التغيير الذي يحتاج إلى وقفات قدرة رابطة العالم الإسلامي على إرسال مليون مصحف من القرآن الكريم مما أنتجه مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة. ومنظمة المؤتمر الاسلامي حاولت حصر الأقليات المسلمة في كل من الصين الشعبية والهند والاتحاد السوفيتي فأوصلهم إلى ما يزيد عن مائتي مليون «٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠» مسلم، ومن هؤلاء ما يزيد على خمسين مليون «٥٠,٠٠٠,٠٠٠» مسلم في جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية الست وهي أذربيجان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وطاجكستان، وكازاخستان، وقرغيزيا، وهؤلاء لا يمثلون حوالي ربع سكان الاتحاد السوفيتي. ويعني هذا أننا بحاجة إلى ما يزيد على خمسين مليون نسخة من القرآن الكريم توزع على المسلمين في هذه البلاد وفي بلاد أوروبا الشرقية. علماً أن واقع الحال أن هؤلاء لن يقرأوا القرآن الكريم جميعهم، فهذا أمر معلوم، ولكن التغيير سيعين على الإقبال على هذا الكتاب العظيم. ليس بالضرورة بقراءته ولكن بمحاولة التمشي مع تعاليمه، وهذا جانب يضيف شيئاً أكبر من مجرد إرسال النسخ من القرآن الكريم، أمور أصبحت اليوم من أولويات العمل الإسلامي في مقابلة وحدة أوروبا، ولكن الصلة التي فرضتها طبيعة الاتحاد جعلت الجزء الآسيوي من الاتحاد يكون تبعاً للجزء الأوروبي. فيكون قابلاً للتطورات التي تحصل في أوروبا الشرقية على الخصوص.

ولمن يجهلون هذه الجمهوريات الست نجد أن الدكتور محمد عبد العليم مرسي يبسط لنا بعض الأرقام التي تعين على التعرف العام على الأوضاع العلمية والإعلامية والثقافية. جاء في هذا الكتاب الذي أصدرته إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هذا العام ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م وكتبه الدكتور مرسي بعنوان «أفغانستان المجاهدة أمانة في أعناق المسلمين». وفي الجمهوريات الست أكثر من ١٢٥ جامعة ومعهداً عالياً يدرس فيها مئات الآلاف من الطلاب والطالبات. وبها أكثر من ثلاثين ألف «٣٠,٠٠٠» مدرسة ثانوية ومدراس ثانوية متخصصة أخرى. ويصدر بها «١٠٠٠» ألف صحيفة يومية وستمائة «٦٠٠» دورية علمية وثقافية وبها أكثر من ١٣٥ مؤسسة للبحث، و«٣٠,٠٠٠» مكتبة تحوي عشرات الملايين من العناوين.

وكل هذه الاشارات تقوي فكرة أن إرسال مليون نسخة من القرآن الكريم إنما يعد إشارة أو بداية لعمل طويل الأجل. وهذا يضفي من المسؤوليات على المسلمين مهمات أخرى هم حريون بالقيام بها. في الوقت الذي نرى فيه اليهود يستفيدون فائدة مباشرة من التغيير. فهذه مئات الآلاف منهم تهاجر من الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية وأمريكا، ثم إلى فلسطين المحتلة ليزداد سوادهم ظناً منهم أنهم بهذا يرهبون العرب ويدفعونهم إلى الرضى بالأمر الواقع، وقبول دولة اليهود بتوسعاتها وتطلعاتها. وما علموا ولا نعلم ما سيكون المصير. ولكننا ندرك أننا إذا ظللنا على مستوى المسؤولية فلن يضيرنا العدد القادم في الوقت الذي يهمنا فيه العدد الباقي من أبناء الأمة في كل من الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية والصين الشعبية التي لابد لها من الاهتزاز مع ما اهتز من بلاد حكمتها الشيوعية البشعة. والأهمية هذه ليست وقتية ولم تكن وليدة الأحداث عنها مع التفاعل الذي جرته أحداث أخيرة عصفت بأوروبا الشرقية ولا تزال تعصف بها.

ولعل المجال يسمح بالتعرف على هذه الجزئية من البلاد الإسلامية في وقفات أخرى قادمة بإذن الله نحاول خلالها تحديد حجم المسؤولية الملقاة على عواتق رجال الأمة ممن يباشرون العمل بأنفسهم أو يقفون عوناً لهم بعد الله داعمين مشجعين موجهين ومتخذي قرار. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦٣٨٠

الأحد ٢١ شعبان ١٤١٠ هـ الموافق ١٨ مارس ١٩٩٠ م

obeikandl.com

الأمر بالمعروف .. وضبط المجتمعات !

الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث ذو شجون، وأصبح حديث كثير من المجالس بين مؤيد للمفهوم والفكرة، ومتحفظ على المفهوم والفكرة والأساليب. وليس كل المتحفظين على المفهوم لا يريدونه تماماً، فهم يدركون أن هناك ضوابط ينبغي أن توجد في أي مجتمع مهما كانت توجهات هذا المجتمع، ولكنهم في الغالب ينظرون إلى ما هو موجود في مجتمعات أخرى تعد متقدمة على مجتمعاتنا من وجهة نظرهم، فيسعون إلى نقل السلوك الموجود في هذه المجتمعات إلى مجتمعاتنا التي تُرمى بأنها نامية أو غير متقدمة.

والنظر في المجتمعات المتقدمة يوصل الناظر إلى أن مسألة دعوة الناس إلى الالتزام بالمنهج مسألة غير واضحة في هذه المجتمعات، لأنها لا تؤمن بمنهج موحد تجمع الناس عليه إلا ما يتعلق بالنظام السياسي. ومسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست بالضرورة داخلة في هذين النظامين، بل يدخلها الناظرون في المجتمعات الأخرى في حدود الحرية الفردية أو السلوكيات الخاصة بالأفراد. وهنا يأتي اللبس في المحاولات القائمة لنقل طبائع الآخرين وعاداتهم إلى أن تكون منهجاً وسلوكاً.

ومنشأ اللبس هو عدم الاستقرار على تعريف موحد للحرية الفردية أو السلوكيات الخاصة بالأفراد، ولا ينبع هذا التعريف لو توحد من تشريع يكفل سلامة استخدام الحرية الفردية في مقابل متطلبات المجتمع وفي مقابل التعليمات المنهجية ـ وهذه هي المهمة التي يغفلها الناظرون في المجتمعات المتقدمة، وحتى لا يظن بإقرار هذا الإطلاق «المجتمعات المتقدمة» فإني أؤكد على استخدام العبارة بالمفهوم الذهني عند الناس وليس بالضرورة بالمفهوم الحقيقي الواقعي.

وينبغي لمن يتحدث على أي سلوك اجتماعي أن ينشأ من أساس قام عليه هذا السلوك الاجتماعي. وينبغي أن ندرك أن السلوكيات الاجتماعية تقوم على مفهومات عقدية تتطلب الإيمان بها بغض النظر عن مصدر هذه المفهومات العقيدية، فيكفي أن تقول إن السلوكيات الاجتماعية صادرة عن معتقدات، وهذه المعتقدات قد تكون ربانية أو وضعية نظرية أو محلية قامت على العرف والعادات.

ونحن في هذا المجتمع المسلم في المملكة العربية السعودية وفي غيرها من بلاد المجتمع المسلم ننطلق في سلوكياتنا الاجتماعية والفردية من مفهوم عقيدي رباني خالص.. وينبغي أن ننظر إلى هذه السلوكيات من هذا المنظور وحسب، فنحن في سلوكنا مع أنفسنا ومع الآخرين نزن أي تصرف بميزان مدى قبوله من الخالق أو عدم قبوله، وليس في هذا أي تردد بل هو ضبط للسلوك حتى لا نضر أنفسنا ولا نضر مجتمعاتنا في سلوكياتنا غير المضبوطة.

ومن ضوابط السلوك الفردي والاجتماعي ما هو بيد الفرد نفسه وما هو بيد السلطة الشرعية التي تقوم لتحكم الفرد والمجتمع بمقتضى المفهوم العقيدي الذي تنطلق منه. والقصد هنا السلطة التنفيذية فقط لأن السلطة التشريعية قد قامت منذ أن نزلت آخر آية على نبينا ـ محمد صلى اللّه عليه

وسلم ـ **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**. فلم يبق لنا إلا فهم الجانب التشريعي فهماً صحيحاً. ويدخل في هذا الاجتهاد والقياس، ومن ثم تطبيقه على الواقع من خلال السلطة العليا في البلاد، وهي التي تملي على السلطة التنفيذية ما ينبغي عليها أن تنفذه.

وفي المجلد الثامن والعشرين من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ، وهو المجلد المخصص للحديث على الجهاد، يتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية على مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديثاً بديعاً يحسن الرجوع إليه من كل من يريد الخروج بفهم علمي لهذا الجانب في حياة الفرد والجماعة. ومن جملة ما يذكره شيخ الإسلام أن مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسألة صاحبت قيام المجتمعات البشرية منذ القدم. ويذكر أيضاً أن في طبيعة البشر السعي إلى الضبط ولكنهم بحاجة إلى توجيه هذا الضبط، فإن لم يأمروا بالمعروف أمروا بالمنكر وإن لم ينهوا عن المنكر نهوا عن المعروف، وإن لم يتضح الضابط ويطبق على الحال ظهرت عناصر بالمجتمع تطبق المفهوم دون ضابط، هذا مع العلم أن في البشر عناصر يهمها أن يغلب الشر الخير، وهذه عناصر موجودة في كل زمان ومكان، لأن الصراع بين الحق والباطل موجود في كل زمان ومكان.

والإسلام الضابط لسلوك الأفراد والجماعات جاء بمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتداداً لما هو موجود من قبل، مع شيء من التوجيه يتناسب مع فطرة الإنسان مع ضمان الأمان للأفراد والجماعات، ونحن بحكم إيماننا المطلق بكمال الدين لا نعتقد أن في هذا المفهوم نقصاً، كما أننا لا نعتقد نقصاً في أي مفهوم جاء به الإسلام.

وتبقى مسألة الوسائل التي ينفذ بها المفهوم والوسائل تختلف

باختلاف الزمان كما تختلف باختلاف المكان أيضاً، والوسائل غير ثابتة ولا هي وقفية، بل تخضع للتعديل والتبديل والمراجعة ومواكبة العصر، والمهم فيها أن تحقق الأهداف بعيداً عن أن تحدث هي شيئاً من القصور أو التقصير في سبيل الوصول إلى الأهداف.

وإذا ما وصلنا بعد هذا كله إلى أن المفهوم وارد ومطلوب في أي مجتمع، فإننا حينئذ سنصل إلى نقاش الوسائل. أما إذا لم يتفق على المفهوم وعلى ضرورته في أي مجتمع فليس هناك تلاق في الأهداف وليس هناك ما يدعو إلى الوقوف عند الوسائل قبل أن تتلاقى الغايات ويتفق عليها.

والوسائل أدوات يسيرها البشر، والبشر معرضون للخطأ، ولكنهم في العموم يعمدون إلى الصواب، وهنا تتدخل النيات، وتعمد الصواب يقوم أحياناً على الاجتهاد. والاجتهاد يبنى على معرفة سابقة أو خلفية عن الموضوع المجتهد فيه، ولذا قيل أن المجتهد إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، مع ملاحظة إذا وإن في التعبير هنا لأنهما مقصودتان، والخطأ هنا قليل ولكنه يحمل عادة على قولهم. حسنات الأبرار سيئات المقربين. وأحياناً يصل الأمر إلى تعميم الخطأ. وهذا خلط ينبغي التجرد منه في سبيل الوصول إلى حكم موضوعي، في الوقت الذي يحسن فيه الاتجاه إلى الجوانب الحسنة التي تضفيها هذه الأدوات والوسائل المنفذة من البشر على المجتمع الذي يسعى إلى حياة أفضل تقود إلى حياة أخرى أفضل منها بكثير.

ولا يمكن بحكم التجارب والواقع أن يقوم أي مجتمع دون ضوابط، ولا يمكن إلا أن تتضافر الجهود في تحديد الوسائل للضوابط وتنفيذها لقيام مجتمع فاضل، ولا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم. ومن هذا المنطلق ننظر إلى هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنها

جزء من مجموعة أجزاء تُكوِّن في مجموعها فريقاً يسعى إلى ضبط المجتمع وحمايته، مما يمكن أن يؤثر في بنائه، وعليه فإننا بحاجة جميعاً إلى الوقوف مع هذه الجهات نعينها بالتعاون معها بالنصيحة والمشورة والدلالة على مكامن الضعف واقتراح وسائل أفضل، ولا أخالها جميعاً إلا ترحب بمثل هذا الأسلوب في التعاون، فلها منا الدعاء بالتوفيق، وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٧٠٤٦

الاثنين ٩ رجب ١٤١٢ هـ ١٣ يناير ١٩٩٢ م

obeikandl.com

ما يراد من الخطباء تجاه المرأة: الأم

ظهرت في الآونة الأخيرة وجهات نظر في بعض عالمنا الإسلامي تؤيد فكرة إقامة دور للمسنين تقوم برعايتهم والعناية بهم. وجزء من هؤلاء المسنين ربما كان من الأمهات اللائي أنفقن ما أنفقن في سبيل رعاية وتربية الأولاد ذكوراً وإناثاً بقدر ما أوتين من القدرة على التربية والرعاية.

ويقول البعض إنه ليس من الضرورة أن تكون دور المسنين لأولئكم الذين رزقوا بالأولارد، وإنما هي دور ترعى هؤلاء الذين لم يبق لهم في المجتمع إلا اللجوء إلى مؤسسات اجتماعية يبحثون فيها عن الستر والصون. وأعلم أن هناك شيخاً ضريراً مسناً تقطعت به الأسباب المادية، ولكنه كان قوي العلاقة مع اللّه سبحانه وتعالى فيرزقه تعالى من يقدم إليه من مكان بعيد ويحمله معه في منزله وبين أولاده ويتردد به على الأطباء والمستشفيات، ولسان حال هذا الشيخ يلهج بالدعاء لابن الحلال حتى توفاه اللّه فما خسر صاحبنا شيئاً، بل لعله فاز فوزاً لا يقدر بالجهد الذي بذله في سبيل العناية بهذا الشيخ الكبير.

وهذا هو منطلقنا في هذا المجتمع بخاصة وفي المجتمع المسلم عموماً تجاه المسنين ومنهم الأمهات. ومرة أخرى لن أعمد في هذا

الحديث لأبين فضل الأم وما ورد في مقامها من آيات وأحاديث وأقوال للعلماء، فتلكم مهمة مؤكدة. فلقد درسنا في السنوات الأولى من الابتدائية كل ما في البيت عندي لا يفي أمي الجزاء.. ولا أدري هل لا تزال هذه القطعة في كتاب «المحفوظات» أم لا؟

ومرة أخرى كذلك أضع الأئمة والخطباء ورجال العلم مجالاً للحديث فيما يتعلق بموقف المجتمع عموماً من الأم وموقف الأبناء ـ ذكوراً وإناثاً ـ منها. ولا بد من التأكيد هنا على هذا القانون العجيب في حياة الأمم الذي اختصر في عبارة جميلة: «أعمل ما شئت، كما تدين تدان». وقد ذكره العامة بعبارة أخرى مؤداها أن المرء إذا عمل للآخرين عملاً سيعمل له الآخرون كما هذا العمل، (ما سوَّيت سوِّي بك). وليس بالضرورة أن يكون هؤلاء الآخرون هم بأنفسهم من تلقوا المعاملة من الشخص. فالذي يعق والديه مثلاً يعقه أبناؤه، وتتردد قصص عربية وشعبية تؤيد هذا التعادل.

والرجال عموماً أكثر خوفاً من العقوق لأمهاتهم نظراً لارتباطهم بزوجاتهم، ونظراً لما يحصل من عدم انسجام بين الأم التي تتوقع شيئاً من الانتباه الأكثر من ابنها فلذة كبدها، وبين الزوجة التي تشعر أن أم زوجها تنافسها في حبه في كثير من الأحيان وفي كثير من المواقف. كل ذلكم يمكن أن يتطور ويصل إلى حدود غير مرغوب فيها إن لم يكن للوازع الديني أثر في هذه العلاقة، ولم يكن للابن «الزوج» أثر في توضيح العلاقة بينه وبين والدته وبينه وبين زوجه.

والأم حتماً هي العامل المؤثر الأول في العلاقة، وتبقى مؤثرات أخرى تحدد العلاقة بين الأم وأبنائها. قد تكون علاقة الزوج بزوجته أو بأبنائه أو بهما معاً، كما أن عامل الشباب لدى الأبناء له أثره على هذه العلاقة التي أوجبها الدين الحنيف حيال الأم حتى يتزوج الابن ويرزق

بالأبناء، حينذاك يمكن أن يكون إدراكه أكثر واقعية، وقد يتجاهل البعض الآخر أن يكون هناك علاقة، ولعلنا سمعنا بما قيل من أن واجب الأم يتوقف عندما يصل الابن إلى درجة يستطيع فيها أن يعتمد على نفسه. ولنلاحظ أن هناك إيحاء من قبل كثير من منظري علوم الاجتماع في الغرب وفي الشرق بأن ما تقوم به الأم إنما هو واجب عليها تجاه أبنائها، ولكننا قد لا نلحظ بالمقابل أي إيحاء بأن ما يجب أن يقوم به الأبناء تجاه أمهاتهم إنما هو من واجباتهم تجاه هذه الأمهات.

كيف يستطيع الخطباء ورجال العلم أن يركزوا فكرة «البر» بالوالدين في المجتمع؟ هل العصر يفرض أسلوباً آخر أو شكلاً آخر من أشكال ترسيخ فكرة البر؟ هل يكفي أن يقف الخطباء ورجال العلم من موقف الأبناء من أمهاتهم موقف المدافع؟ فيبينون فضل الأم وما يجب لها من حقوق على أبنائها مع التعرض من قريب أو بعيد للمجتمعات الأخرى التي كثرت فيها مؤسسات رعاية المسنين، فأصبح المسنون آلة أو أداة ووسيلة للرزق، بل وللتجربة، وأصبح المسنون مجالاً للإيحاء بالمنة عندما تربت على أكتافهم الممرضة أو الأخصائية الاجتماعية أو تتبسط معهم مديرة الدار. إن أمثلة العقوق كثيرة جداً صبغت بأصباغ مختلفة، ولكن الجوهر واحد ينصب في مفهوم العقوق. وللعقوق جزاؤه عاجلاً وآجلاً، ولعل من المطلوب تبيانه أن الحياة ـ المؤقتة ـ لا يمكن أن تصفو لشخص ما دام يمارس في حياته طرقاً تتنافى أو تتعارض مع سنة هذه الحياة ومع سنة اللّه في تسيير هذا الكون.

ولا يريد أن يصل المرء إلى مقياس أن كثرة مؤسسات العناية بالمسنين إنما هي دليل صريح على كثرة العقوق في المجتمع، والذي يبدو أن المرء يمكن أن يصل إلى هذا الافتراض وهو مطمئن. بل ربما ذهب إلى أكثر من هذا، بحيث يصل إلى مقياس أن كثرة مؤسسات العناية

بالمسنين في بلاد الغرب والشرق إنما هي سبب في كثرة النوائب والنوازل التي تحل بتلك المجتمعات على مستوى الأفراد والجماعات. ولعل الخطباء ورجال العلم يستطيعون الربط بين هذا وذاك، كما استطاعوا الربط بين قلة المطر والإحجام عن دفع الزكاة. وكما استطاعوا الربط بين قدرة الخالق سبحانه وتعالى وبين النوازل الأخرى التي تحل بالعالم بالأمس واليوم وربما غداً، بدلاً من التفسير المادي «العلمي» لهذه النوازل. وذلكم أيضاً مفهوم عام يحتاج إلى وقفة أخرى تناقش فيها فكرة «التفسير العلمي» عندما يراد به تفسيراً مادياً للظواهر في مقابل التفسير الديني لها، وكأن هناك فصلاً قوياً بين التفسير العلمي والتفسير الديني، بينما القدرة الإلهية هي الأساس المكين لكل مكتسبات الإنسان في هذا الكون ولعقوق الوالدين أثر كبير في الوصول إلى تفسير النوازل.

إن مسؤولية العلماء والخطباء لا تتوقف عند ذكر الدليل، ولكنها تتطلب من هؤلاء الذين رَضِيُوا بحمل هذه الأمانة أن يدخلوا إلى العقول والقلوب، فيرسخوا المفاهيم الإسلامية التي شملت وتشمل كل شيء. ولهذا الهدف مقوماته التي تعين على الوصول إليه منها قدرة الخطيب على الإحاطة الكاملة: بعلوم الدين ومستجدات الحياة. وكان اللّه في عون الجميع.

ما يراد من الخطباء إزاء المرأة .. الزوجة

الحديث عن المرأة حديث غير منضبط في كثير من الأحيان، فالكثيرون يتحدثون عليها، وتتحدث هي على نفسها، وقد واجهت وتواجه كثيراً من التحديات في كثير من المجتمعات. التحديات هذه ناتجة عن عدم فهم شامل للمرأة وما تريده من الحياة وما يراد منها في الحياة..

وكثيراً ما أسيء فهم المتحدثين على المرأة بسبب حساسية الحديث عليها، فنرى البعض يخطب ودها إما بالتلطف لها أو بالقسوة عليها أو بتحميلها أكثر مما تحتمل، مع أنها تحتمل الكثير، من صفات الجمال في الطباع والتعقل أو بالقدح فيها باسم خدمتها، وليس هذا بالجديد على المرأة.

والمرأة امرأة قبل كل شيء هي أم وزوج وبنت، ثم هي مربية أو عاملة بالمعنى الذي يحدده دينها للمرأة العاملة. ولكل جزئية من هذه الجزئيات وقفة خاصة يتوقع من رجال العلم والخطباء والوعاظ إعطاؤها ما تستحق من الاهتمام والتوعية، بحيث يتضح تماماً أمام الناس النظرة الصحيحة غير المغلوطة للمرأة في هذا المجتمع أو ذلك.. فتنتزع منه بعض المفهومات الموروثة أو الوافدة التي لا تفتأ تسيء للمرأة وتملي على أفراد من المجتمع الإسلامي الواسع الإساءة إليها حسب ما قد تستغله من مفاهيم مغلوطة عنها.

وتجزئة المرأة إلى أم وزوج وبنت إنما هو فقط لتسليط الضوء على كل جزئية على حدة ولا يعني هذا بحال تصنيف المرأة، فالأم زوجة ثم أم والبنت ستكون زوجاً ثم أماً وهكذا.

وجزئية المرأة كزوجة هي التي تحتاج إلى وقفات طويلة جداً على اعتبار أن هناك فهماً خاطئاً لوظيفة الزوجة في كثير من البلدان الإسلامية. وهي حقاً زوج وليست زوجة وعلينا ألا نغفل ما وراء هذا التعبير الدقيق، وإنما قلنا زوجة وكررنا كلمة زوجة كجزء من هذا المفهوم العام الخاطىء لوظيفة الزوجة.

وفي الوقت الذي نحاول فيه الابتعاد التام عن المثالية و «القولبة» والنظرة القاصرة أو العاطفية للزوجة لا نملك إلا أن نصر على أن هناك فهماً خاطئاً لمفهوم الزوجة. على أن القارىء لن يجد محاولة لوضع المفهوم الصحيح للزوجة، فيترك هذا لرجال العلم والخطباء والوعاظ المتوقع منهم أن يكونوا قدوة، ليس في معلوماتهم عن مفهوم مهام الزوجة فحسب، ولكن أيضاً في بث الوعظ والإرشاد التربوي المنطلق من قواعد السلوك الإسلامي الرشيد لرسالة المرأة كزوجة وكأم يقع على عاتقها تربية النشء الإسلامي المتمسك بدينه وخلقه وسلوكه السوي.

وعندما ينقلون المفهوم الصحيح للزوجة في المجتمع العربي المسلم سوف يوجهون الأنظار إلى هذا المفهوم مع التوجيه المتكرر للمرأة ولولي أمر المرأة ـ الزوجة هنا ـ من السفور ومحاكاة الأخريات من الأجنبيات، وذلكم أنها عندما تدرك تماماً مفهوم الزوجة، وعندما تدرك أن المجتمع يدرك مفهوم الزوجة عندها لن تنظر إلى الأخريات، ولن يكون لديها القابلية لأن تتقمص شخصية غريبة عليها وعلى مجتمعها.

قد يفهم البعض أن مقصود هذه الحروف أن مفهوم الزوجة غير معروف في المجتمع الإسلامي بحدوده الشرعية. ولكن ليس الحال كما

يتصورون، ولكن الواقع الذي لا بد من التعامل معه ومواجهته أن هناك قصوراً في المجتمعات الإسلامية فيما يتعلق بمفهوم الزوجة، إما بسبب من موروث خاطىء، أو بسبب من عدم الفهم الدقيق للتعاليم التي تتعلق بالعلاقة بين الزوجين، كأن يساء فهم القوامة التي لا بد من وجودها حتى يستقيم البيت ومن ثم يستقيم المجتمع.

نحتاج إلى التركيز المباشر على علاقة الأسوة محمد ﷺ بأزواجه أمهات المؤمنين. والعلاقة هذه كانت واسعة وعريضة شملت جميع جوانب العلاقة بين الزوجين. نحتاج إلى كشف هذه العلاقة أكثر للناس على أنها علاقة كانت يتأسى بها، وليست علاقة كانت خاصة به وبأزواجه عليه السلام، ونحتاج إلى أن يدعى الناس إلى تمثل هذه العلاقة في حياتهم. ونحتاج إلى أن نفهم القوامة من خلال قوامته عليه السلام على أزواجه، نحتاج إلى أن نرد عملياً على أولئك الذين لم يرتاحوا لمبدأ القوامة بسبب من سوء الفهم ونرد عملياً على أولئك الذين أكدوا على مبدأ القوامة بالمفهوم الذي رغبوا فيه ولم يكن حقيقة بالمفهوم الصادق لمبدأ القوامة في الدين.

جميل جداً أن تسلط الأضواء على الأوضاع الاجتماعية في المجتمعات غير الإسلامية التي يذكر فيها أن المرأة تنال حقوقاً في الحياة أكثر من المرأة المسلمة، والأجمل من هذا أن نحاول أن نفهم ونسلط الأضواء على طبيعة هذه الحقوق لنرد بالتصور الأكثر صوابية وحكمة. هذا في مجال المرأة عموماً فما بالكم بمجال الزوجة في دار زوجها، فنحتاج إلى أن نسلط الضوء على طبيعة هذه العلاقة ومن يحكمها وما يحكمها.

ولعل من المؤلم حقاً أن هذا التسليط قد يوحي بالمقارنة بين زوجة وأخرى. والواقع أن مبدأ المقارنة غير وارد تماماً لأننا حينما نقارن لا

نستطيع أن نستل جزءاً من مجتمع ونقارنه بنظيره في المجتمع الآخر. والزوج جزء من المجتمع، فإذا أردنا المقارنة فلا بد أن نقارن مجتمعاً بآخر. وهذا غير وارد أصلاً، لأن المفهومات مختلفة تماماً. قد نقارن بين مجتمع مسلم وآخر مسلم فنعثر على نقاط ضعف فيهما أو في أحدهما بعد أن نعرضهما على المجتمع القدوة، لكن أن يقارن مجتمع غير مسلم بآخر مسلم في مجال واحد وهو العلاقة الزوجية فتلكم مقارنة غير علمية وغير واردة، لأن أي مجتمع مسلم غني كل الغنى بمقوماته ورؤيته، وإنما هي تظل محاولات يقصد من ورائها تبيان أن الآخرين على خطأ ونحن على صواب. وهذا ليس بالضرورة صحيحاً على إطلاقه، في كل المجتمعات الإسلامية، بل قد يكون هناك أخطاء ناتجة عن سوء الفهم يجب ألا ننكر وجودها. وعلينا التنبيه إليها والتأكد على اقتلاعها من جذورها بالوعي أولاً وبالوعي ثانياً وبالوعي ثالثاً.

وفي سبيل اقتلاعها من جذورها نحتاج أيضاً، وبعد معرفة العلاقة الأسوة، أن نتعرف على علاقة الصحابة بأزواجهم وعلاقة التابعين وعلاقة العلماء والخلفاء والولاة والأمراء، فنرد على من يريد سوءاً بطرح بعض المفاهيم المغلوطة عن الإسلام وشموليته لنظام الأسرة والعلاقة فيما بين أفرادها لتكون علاقة مثالية مسؤولة.

والعلاقة بين الرجل والمرأة عموماً والعلاقة بين الزوج وزوجه خصوصاً مجال يطول البحث فيه، ولكنها المحاولة لتذكير رجال العلم والدعاة والخطباء بأن عليهم مسؤولية غير يسيرة في تبيان هذه العلاقة بمفهومها الواسع سعياً وراء تجنب أي تصدع في البناء الأسري الإسلامي، وتجنب تبني النظريات والآراء البشرية التي قد تصلح في حال ولا تصلح في جميع الأحوال. وسعياً وراء الحد من النظر إلى هذه العلاقة من منطلقات أخرى إذا ما قصَّر رجال العلم والخطباء والدعاة في إعطاء هذا الموضوع ما يستحقه.

ولعل هناك وقفات أخرى عند العلاقة بين الأب وابنته والابن وأمه. وربما يتسع المقام للوقوف عليها وعلى العلاقة بين الشباب والأمة وما يراد من رجال العلم حيال هذه العلاقات جميعاً، سيما وأننا أمة مستهدفة في توجهاتها الخيرة من قبل الأعداء المتربصين بكل انطلاقة رشيدة. وكان اللّه في عون الجميع.

obeikandl.com

المطـــوع ..!!

عندما كنت أدرسّ المكتبات والمعلومات أثيرت قضية الرقابة في مقابل الحرية الفكرية. والمجتمع الأمريكي مجتمع يقدس الفرد، فكان لا بد أن ينادي بالحرية الفكرية، وفي نفس الوقت يتخذ خطوات عملية حول القضاء على الرقابة، وإن كانت هذه الرقابة تعود بالمصلحة على المجتمع على حساب رغبات بعض الأفراد.

والرقابة لا تقتصر على الجانب الفكري، بل يبدو أنها مبدأ مطلوب في كل الأحوال في سبيل تحقيق مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد في آن واحد. وطبيعتنا البشرية التي فطرنا عليها تفرض وجود رقابة علينا تأتي قمتها من مراقبة اللّه تعالى لنا في أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا العلنية منها والسرية. وهناك نظام بديع لهذه الرقابة الإلهية يترك للإنسان مجالاً أن يمارسها هو على نفسه قبل أن تمارس عليه من قوى خارجية عليه، فإذا ما أساء التصرف كانت جهات الرقابة واقفة له أو أمامه تحده من أن يضر بالمجتمع وبالأمة بعد ذلك.

ولو ابتعدنا عن التنظير والمثاليات لوجدنا أننا نمارس الرقابة وتمارس علينا، وحياتنا تسير إلى الأحسن كلما فهمنا الحكمة وراء هذه الرقابة وتمشينا معها في تصرفاتنا الخاصة والعامة التي تطول الآخرين.

والحسبة نوع من الرقابة. فيها سعي لتوطيد الأمن في المجتمع. والأمن مفهوم عام لا يقتصر على «مراقبة» الجريمة والوقاية منها، فهذا هو المفهوم الشائع بين الناس المرتبط برجال الأمن في زي خاص ومكان مخصص، وإجراءات خاصة. ولكن هذا جزء يسير من المفهوم العام الأمن.

وتكاد تنفرد هذه البلاد بممارسة نوع من أنواع الحسبة الذي يفضي على المجتمع أمناً على أمن، وهو مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يفهم خطأ على أنه مقصور على النداء للصلاة في الأسواق والشوارع وإغلاق المحلات التجارية والمكاتب والأماكن العامة، وهو ليس مقصوراً على ذلك، إذ الأمر بالمعروف يشملِ الأمر بكل ما هو مفيد للمجتمع والفرد والنهي عن المنكر يشمل النهي عن كل ما هو ضار بالمجتمع والفرد.

ولخوصية هذا المجتمع بهذا المفهوم من مفهومات الحسبة نجد أن البعض لا يريد هذه الخصوصية، بل يدعو مباشرة أو بطرق غير مباشرة إلى حماية الفرد ومصالحه الخاصة وعدم التدخل فيها. فمن أراد أن يذهب إلى الصلاة فليذهب، ومن أراد أن يبيع فليبع، ومن أراد أن يشتري فليشتر. ومن أراد أن يعمل فليعمل، وتنطلق هذه الدعوة من مفهوم يقدس الدنيا ويعمل من أجلها كما ينطلق من الانبهار بالمجتمعات الأخرى التي تركت الأمور على ما هي عليه دون ممارسة أي نوع من الرقابة فيما يتعلق بالجوانب التعبدية، ولم تمارس أي نوع من الرقابة الدينية ـ إن صح التعبير ـ لأنها تبنت ـ أصلاً ـ مفهوماً يفصل بين الدولة والدين وبين السياسة والدين مما يطلق عليه البعض مفهوم «العلمانية».

ومن هنا نجد الكتابات الغربية عن المجتمع السعودي بخاصة وعلى المجتمع المسلم بعامة تصور رجال هيئات الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر على أنهم مجموعة من «البعابع» في مجتمع يريد أن ينطلق في ركب «الحضارة» بالمفهوم الذي يعرفونه هم عن الحضارة. ويأتي تعبير «المطوع» في كتاباتهم بتصوير سلبي يوحي بالغلو والتشدد والعنف. وهذا متوقع من أولئك الذين لا ينتمون إلى الخلفية التي قامت عليها هذه البلاد. ولكن غير المتوقع أن يجري البعض وراء هذه الانطباعة فيكيل الاتهامات ويتلفظ بأنواع من السخرية والاستخفاف برجال مهمتهم أن يسهموا في مجالهم في قيام مجتمع آمن تسوده المودة والطمأنينة والجمع بين العمل للدنيا والآخرة.

والعجيب أن تؤخذ حالات فردية من الممارسات التي جانبت الصواب مما هو حاصل في جميع القطاعات الأمنية والطبية والصناعية وغيرها، فتكون هذه الممارسات أدلة على الرغبة في الانتقاص من جهود هؤلاء المحتسبين، في وقت نؤكد فيه جميعاً على أنه ليس من الضروري أن نعيش للدنيا كما يعيش الآخرون. ونزعم أنه من الضروري أن يعيش الآخرون للآخرة كما نعيش. فليت هذا المفهوم يشيع بين الناس لما فيه من الوصول إلى هدف السعادة في الحياتين. وفق الله العاملين على خير المجتمعات، وكان في عون الجميع.